الفجر

العدد الثاني عشر / رمضان ١٤٣٥/ تموز ٢٠١٤

8
حرية مسلوبة/ ا
تائب خالد الهنداوي

13
النص والواقع/ ا
د. أحمد محمد كنعان

18
شرف الوثبة
سحبان مشوح

26
رحلَ الشيخ..وظلّ منيراً
عبد الله السلامة

الفهرس

3 الافتتاحية

5 لا تحكوا بالسياسة ، عابدة العظم

8 حرية مسلوبة / ١ ، تائب خالد الهنداوي

11 الفجوة الثقافية ، محمد عادل فارس

13 النص والواقع / ١ ، د. أحمد محمد كنعان

17 شرف الوثبة ، سحبان مشوح

19 الفتاوى ، هيئة الشام الإسلامية

23 المنير ، عمار يحيى

26 رحلَ الشيخ.. وظلّ منيراً ، عبد الله السلامة

28 سأخبره بكل شيء ، عبدالكريم اليماني

29 المنفى ، أنس إبراهيم الدغيم

31 فيسبوك

وأعدوا

الإخوان المسلمون سورية

مكتب الشباب

مجلة شهرية تصدر عن
مكتب الشباب
في جماعة الإخوان المسلمين
في سورية

الفجر

العدد الثاني عشر / رمضان ١٤٣٥ / تموز ٢٠١٤

تصفح الفجر
www.alfajrmg.net

تواصل مع الفجر
alfajr.mg@gmail.com

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

فريق التحرير

حسام غضبان	رئيس التحرير	عبد الكريم اليماني	محرر
د. عامر غضبان	محرر	أحمد يحيى الطويل	محرر
عمار يحيى	محرر	أسامة الشيدون	الطباعة والتوزيع
أسامة السيد عمر	محرر	منى السعيد	التسويق الإلكتروني

بعد اشتعال المعارك في العراق امتدت ساحة المعركة، وكبر حجم المؤامرة التي تواجهها الأمة، وزاد اختلافنا حول مآلات ما يجري.

نحن متفقون على أن هناك جهوداً تآمرية كبيرة متعددة الأطراف، لكننا مختلفون حول مقدار تحكم هذه الأطراف بالأحداث، وحول تحديد وجهة المؤامرة، وحول تقدير إمكانها التي تؤهلها لتحقق غايتها.

نحن متفقون حول وصف المرحلة الحالية بأنها لم تكن في حسابات وتصورات وخطط الذين بدؤوا بالثورة، ومختلفون حول ما يتبع هذا الوصف: هل نتقدم خطوات للأمام، أم علينا الرجوع للخلف؟

نحن متفقون على أن القوى الشعبية كانت مؤثرة أو متحكمة في بداية الثورة، وظهر أنها يمكن أن تحسم بعض المعارك وتوجه سير الأحداث حسب وجهة الشعب وتطلعاته، لكننا مختلفون الآن حول فاعلية هذه القوى وقدرتها على الحسم، أو حتى على التدخل في بعض المعارك.

وعلى الرغم من تسارع الأحداث، وعلى الرغم من عدم سيطرتنا عليها أو ضعف تأثيرنا فيها، نعود لنؤكد :أصحاب الحق في هذه المعركة واضحون، والمتسببون في فتنة الناس وظلمهم معروفون، وإن كثرت المعارك وامتدت وبغى الباغون وأسرفوا، هل يعطي هذا كله أهل الباطل ودعاة الفتنة حقاً ليس لهم؟! هل يتحولون إلى قيادة شرعية للأمة؟! نعم قد يغير الكثيرون مواقفهم، وقد تتنازل بعض الفئات أو بعض الأفراد عن التزامات التزموها في أول الطريق، لكن دعونا نتفق على أن لا تكون التغيرات والتنازلات سبيلاً للوقوع في إثم أو عدوان، فإن كانت كذلك فلنحاول اجتنابها، ولو كان ثمن الثبات باهظاً وطريقه صعباً.

ومهما كانت التغيرات في ميدان الصراع العسكري خطيرة، ومهما كانت التقلبات في موازين الحراك السياسي ضاغطة، نحن نحتاج - على مستوى الأفراد - أن يصارح كل فرد نفسه: هل يمكن أن أتحول لنصير لنظام ظالم، قام وتأسس واستمرعلى الظلم؟ أو: هل يمكن أن أكون جندياً في جيش فتنة يعتدي على الأمة ولا يميز بين برها وفاجرها؟

إننا نحتاج في هذا الظرف أن نرفع مستوى (التقوى)، الذي يضع فيه الفرد حاجزاً بينه وبين ما يتقيه، ويحفظ هذا الحاجز، فلا يسقطه ولا يخرقه، وإن ثقل عليه الأمر، لأن الله تعالى ضمن لنا أن العاقبة في النهاية هي للمتقين، وأنه هو سبحانه وتعالى ولي المتقين.

ولعله من حكم أقدار الله تعالى أن تكون هذه المرحلة الحرجة في شهر الصوم الذي يعيننا على التقوى إن قمنا بعبادته حق القيام، في شهر الصبر كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم، الذي يجب علينا فيه الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله.

فلنجعل هذا الشهر إذن معيناً لنا على الثبات على الحق الذي نعتقده، ومناسبة للتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وسبيلاً لتحقق معاني التقوى التي تعصمنا من الإثم والعدوان، ومناسبة للاستعانة بالله تعالى حتى يهبنا الصبر الذي يهبه للصابرين، ويمن علينا بالعون والنصر الذي يهبه للمتقين والمحسنين.

{واصبر، وما صبرك إلا بالله، ولاتحزن عليهم ولا تَكُ في ضَيق مما يمكرون، إن الله مع الذين اتَّقَوا والذين هم محسنون}

[النحل: ١٢٧ – ١٢٨].

لا تحكوا بالسياسة

عابدة العظم

لو اجتمع الأهل والأحباب يتسامرون فبأي حديث يتكلمون؟

يبدؤون بالصحة والطقس والعمل... ثم علام سينتهون؟

سيصلون للحديث عن أنفسهم وأهلهم والقضايا المهمة المشتركة بينهم، أليس كذلك؟

والحديث الغالب ما يحدث في مصر وسوريا وغيرهما والواقع اليومي المعاش؛ من الغلاء والمعاناة، وصعوبة الحركة وسوء المعاملة، والضغط النفسي... إلى القتل والتشريد والتعذيب، وما منا إلا وأصابه بلاء منه في أهله وقرابته، فإذا فتحنا الموضوع بشكل طبيعي (لأنه مصابنا وحياتنا وآمالنا وآلامنا وأهلنا)، وجئنا لنصف الوضع قالوا لنا: "لا تحكوا بالسياسة"!

وفي إحدى المناسبات طلبت مني الحاضرات كلمة صغيرة، فأمسكت الميكرفون وبدأت أقول: "إن المسلمين محاصرون في الأرض في سوريا وفي كل مكان، ويجب علينا ألا ننساهم وأن نشعر بآلامهم مهما كان حالنا"، وإذا بصوت فيروز يصدح في الصالة، وتأتيني المسؤولة مهرولة تحذرني من الكلام في السياسة! قلت لها بجرأة وقوة: "وأي سياسة؟! هذا الإسلام!

وإن التكافل وإغاثة الملهوف شرع الله؛ وإني -وللأسف- لا أذم طاغية، ولا أُعرّض بقانون، ولا أجمع المال، ولا أدعو إلى الجهاد، ولا أحرض ضد الحكام، فقط أَذْكر المعذبين في الأرض بكلمات!

أُذكر الناس بشعوب مكلومة مظلومة لكي يعلموا بمعاناة إخوانهم، فيفعلوا أقل شيء، وهو الدعاء"، قالت بكل صرامة (وهي سورية): "ممنوع! وهذه الأوامر".

ولا تظنوا أني سأتكلم في مقالي هذا عن السياسة! فإني لا أحبها، ولن أخوض فيها، وإنما سأتكلم عن الناحية الاجتماعية التي سموها سياسة، والتي جعلوها سياسة، وقالوا لنا: "إياكم والخوض فيها"، فصدقناهم؛ فظلمونا وجاسوا خلال الديار، واستباحوا حرماتنا.

إن الأصل أننا في عصر التخصصات، وكل قوم توجهوا لعلم من العلوم وتعمقوا فيه، وبعض العلوم يرتبط بعضها ببعض، ولكن الأمر الذي يستحق وقفة أن علم السياسة -في عرفهم- يرتبط بكل شيء: الدين والجغرافية والتاريخ والاقتصاد... ويرتبط بعلم الأجناس البشرية وعلم النفس وعلم الاجتماع. وكل هذا ليس من أجل صلاح الفرد، وخير الأمة، وإنما من أجل تجهيل الشعوب وجعلهم كالقطيع، فنرى الحكومات تستعين بهذه العلوم لتتعلم كيف تشكل قناعات الناس، وتريهم الأبيض أسود، وتجعلهم يصدقونها!

وإن السياسة بالتعريف العلمي: "علم يهتم برعاية شؤون الدولة داخلياً وخارجياً وتقوم به الدولة، وهو من اختصاصها. ولكن المفروض أن تحاسب الأمة الدولة حين تخطئ، وأن تكون على متابعة ودراية بالمستجدات".

لكن السياسة على أرض الواقع غير ذلك الوصف الجميل؛ فالسياسة تتدخل في كل شيء، وسواها من العلوم مقصور ومحصور، ويخالف قولهم فعلهم؛ فيقولون لنا لا دخل للدين بالسياسة، ثم يُدخلون السياسة في الدين وفي الفتوى! ولكل حاكم عالم سلطة يسيس له الفتوى. ولم يسلم الدين من التحجيم، وتم اختزاله في العبادات وحفظ القرآن، وابتعد عن المعاملات.

وجعلت السياسة الاعتراض على الطغاة ممنوعاً، والاستبداد مطلوباً، وجعلت عقيدة الحاكم الفاسدة شريعة الدولة وقانونها، وأجبرت الناس على ذلك، ونحن لما تركنا السياسة وقلنا نعيش حياتنا وما لنا وللحاكم، وضعت لنا الدول الاستعمارية ومحاور الشر "أعتى الطغاة" فاستبدوا بنا، وتبين -بعد التجربة- أنهم كاذبون، والسياسة تتدخل في كل شيء:

فالسياسة من يحاصر المفكرين ويضيق على المتعلمين الواعين، وهي من يرميهم في السجون ويعذبهم العذاب الأليم أو ينفيهم من الأرض ويتسبب بهجرة العقول.

والسياسة من يُغلي الأسعار، وينشر البطالة ومن يفقر الشعوب ويجعلهم طبقتين.

والسياسة من بعث الطائفية، ومن أدخل صنع فتنة الأقليات ومكن لهم في البلاد.

والسياسة من رفع الأذلة ووضع الأخيار، وسهل الرذيلة وزينها للجيل، وهي من دحر الأخلاق وسحقها، ونشر الفساد والأمراض الاجتماعية من الغش والرشوة والخوف والخنوع...

والسياسة من جرت المصائب والويلات للشعوب الآمنة؛ ومن أسقطت الدولة العثمانية، وتسببت بالحروب العالمية، فقتلت المدنيين، الذين لم يفعلوا أي شيء يضر أو يفسد أو يهدد وجود الدول الكبرى.

والسياسة من جعل الطغاة يحرصون على أمن الدولة ولا يبالون بأمن الأمة؛ فيُسرق مال الأفراد في وضح النهار ويُعتدى على أملاكهم ومتاعهم، ويَظلم بعضهم بعضاً... ولا ينتصر للمظلوم حاكم أو قاض أو شرطي! وإذا دفع المعتدي رشوة أو استمال رجل دولة ذهب الحق إلى غير رجعة. وأما إن جاء بلاغ كاذب واتهموا رجلاً بريئاً (لثأر أو حسد) قضى في معتقلاتهم سنين عدداً.

وقالوا للأمة (وهي القوة العظمى): "السياسة بعيدة عن الحياة اليومية، ويمكنكم الحياة بشرف وأمان دون التكلم عنها أو التعرض لها"، هكذا قالوا، فتركنا الدولة للحاكم، فأفسد القضاء، وحطم الاقتصاد...

إن السياسة لم تقتصر على الحكم وسياسة أمور الدولة، وأصبح ما يسمونه سياسة يمس الحياة اليومية للأفراد، ويقيدهم في طعامهم وشرابهم وسكنهم وفي قوتهم وفي أعمالهم، فإن لم يشارك الإنسان رجلاً مسؤولاً لا يستطيع أن يتاجر وأن ينجح في عمله، وإن لم يكن حزبياً لا يجد وظيفة، وإن لم يكن من طائفة الحكم قد لا ينجح بالبكالوريا، وإن لم يكن مؤيداً لا يجد لنفسه مقعداً بالجامعة...

وبقينا نردد قولهم: "سياسة ولا علاقة لنا بها" رغم وصول الأمر لأمننا وأماننا وأملاكنا وأرزاقنا، وتغيرت بلدنا وأصبح الفساد العام في المؤسسات، والفساد الأخلاقي في الطرقات، حتى وصل الأمر للقتل والحصار والتجويع ومنع الإغاثة، وما زالوا يقولون: "لا تحكوا بالسياسة"!

والمشكلة الكبرى أن الناس يدركون ما يضر مصالحهم الخاصة بسرعة، ولكنهم لا يدركون المصلحة الكبرى إلا بعد فشو الفساد وظهور شره، ولذا تهتم كل دولة في بداية حكمها بإرضاء الشعوب، فنرى بعض الفرجات... حتى إذا ثبتت أقدامها، وصنعت أتباعها، وكبلت خيار أهل المدينة ضربت ضربتها، فيصل بأسها لكل بيت، ويتضرر أتباعها والمصفقون لها ولا ينتبهون أن رئيسهم يخذلهم، ويظنون أنها ظروف خارجية! وأما الواعون فلا يملكون دفع بطشها وقد تمكنت وتأصلت.

لقد أصبحت السياسة حرباً أقوى وأشرس من الحروب العسكرية، وأصبحت تستعبد الشعوب وتسرق أموالها، وتغير تركيبتها وتبدل اتجاهاتها كيف تشاء، ولذلك أبعدوا الجيدين والوطنيين عن السياسة، وأقنعوهم بأن العمل السياسي مكر وخداع لا يليق بالشرفاء، ثم تخيروا لها شرار الناس. استخفوا بنا فأطعناهم، فاستضعفونا وقتلونا وهددوا وجودنا، وهنا القضية.

وتفضلوا وانظروا ماذا فعل ابتعادنا عن السياسة: قطعوا بقولهم "لا تحكوا بالسياسة" الإغاثة وأكلوا أموالها في بطونهم

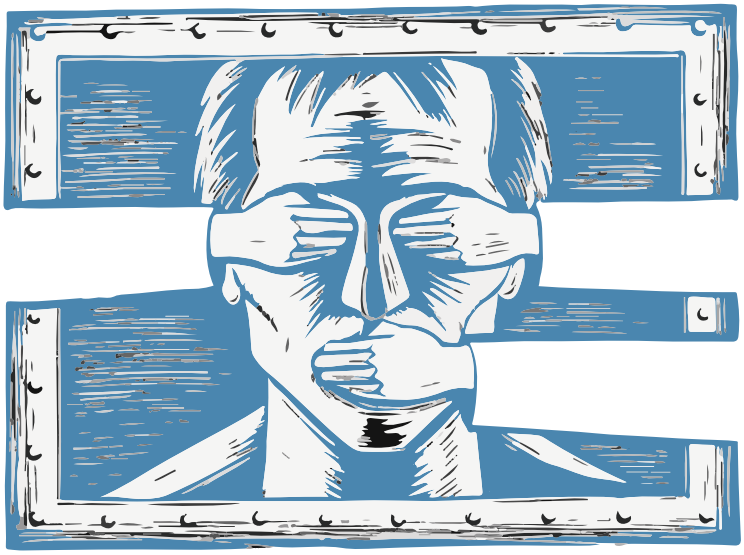

وقتلوا بها الإنسانية في قلوب الناس وقضوا على التكافل الاجتماعي، وتخيلوا أنهم أصبحوا يمنعون الرجل من إرسال النفقة لقرابته في الداخل؟! أعرف رجلاً ذهب ليحول بعض المال لعمه وأمه وأخواته فقالوا له: أي إعانة يجب أن تكون عن طريق الحكومات! فقال لهم: هذه ليست إعانة هذا مصروف يومي لأهلي الذين أصبحوا عاطلين عن العمل، فمنعوه من تحويلها، وقالوا أي تحويل يجب أن يكون بعلمهم وعن طريقهم، ثم يجمدون المال في مصارفهم، أو يسرقونه أو يعطونه لمن شاؤوا من غير الذين جُمع لأجلهم.

والخلاصة:

إن مصالح كل فرد تتأثر بسياسة بلده وتوجهات حاكمها، ويتأثر رزقه ويتهدد أمنه ويفقد هويته.

وافصلوا لي السياسة عن الإنسانية، أو السياسة عن الاقتصاد، أو السياسة عن النهضة الفكرية والعلمية والحضارية... ثم قولوا: "لا تحكوا بالسياسة".

حرية مسلوبة

تائب خالد الهنداوي

قامت من أجلها ثورات .. كيف نفهمها ونمارسها؟

إن الحرية شعار ضحت من أجله وثارت في سبيله الشعوب، وأريقت من أجله الدماء الزكية، وفي العصور الحديثة أصبحت الحرية شعاراً للشعوب والطبقات المضطهدة ضد مغتصبي الثروة والسلطة والمسيطرين على رقاب الناس في المجتمعات البشرية، وكأنها معركة تحرّر وتحرير يخوضها الناس من قديم الزمن إلى يومنا هذا، بالرغم من اختلاف أشكال المعركة وألوانها وأهدافها وأساليبها باختلاف القيم الفكرية التي ترتكز عليها.

فالحريَّة ضد العبودية.. والحرُّ ضد العبد.. وتحرير الرقبة: عتقها من الرق والعبودية.. فالحرية: هي الإباحة التي تُمكِّن الإنسانَ من الفعل المعبِّر عن إرادته، في أي ميدان من ميادين الفعل، وبأيِّ لونٍ من ألوان التعبير.

الحضارات الغربية ومفهوم الحرية

حرصت الحضارات الغربية الحديثة على توفير أكبر قدر من التحرير في السلوك الفردي ورفع كثير من القيود عنه، بالقدر الذي لا يتعارض مع حرّيات الآخرين، فلا تنتهي حرية كل فرد إلا حيث تبدأ حرّيات الأفراد الآخرين. ولم تهتم هذه الحضارات بعد ذلك لطريقة استعمالها والنتائج التي تتمخض عنها وردود الفعل النفسية والفكرية لها، ما دام كل فرد حرّاً في تصرفاته وسلوكه وقادراً على تنفيذ إرادته في مجالاته الخاصة، فالمخمور مثلًا لا حرج عليه أن يشرب ما شاء من الخمر، ويضحّي بآخر ذرّة من وعيه وإدراكه لأن من حقه أن يتمتع بهذه الحرية في سلوكه الخاص، ما لم يعترض هذا المخمور طريق الآخرين أو يصبح خطراً على حرياتهم بوجه من الوجوه.

ولكن ما لبثت هذه الحضارات فترة من الزمن حتى رأينا فيها القوي يأكل الضعيف والغني يأخذ حق الفقير ويصطف فيها البشر طوابير هائلة إما للحصول على معونات معيشية أو للعلاج من أزمات نفسية وصحية أصابت الكثيرين من أفراد مجتمعاتهم. كما رأينا هذه الحضارات المزعومة تغزو بلادا آمنة وتستعمرها وتنهب مقدراتها وتسترق شعوبها وتجبرها على التبعية لها وتسلب إرادتها وتجعلها رهينة لها من خلال القيود التي فرضتها عليها، سواء في المعاملات التجارية أو الثقافية.

وسلطت على هذه الشعوب دكتاتوريات جديدة تحكم فيها برغبة هذه الحضارات المزعومة وتسكت عن جرائم هؤلاء المستبدين الذين نصبتهم حكاما ما داموا يحققون مصالحها، ولو قتلوا أو هجروا شعوبا بأكملها كما يحدث الآن في سورية مثلا وفي غيرها سابقا، وكل ذلك نتيجة لأن الحضارات الغربية تخلصت من العبودية الظاهرة وارتضت بالحرية السطحية، فقط بينما ما زالوا عبيد أنفسهم وشهواتهم التي لم تحررهم هذه الحضارات منها، فحصلت حالة من الإباحية المطلقة -إباحية الأعراض، إباحية الأموال، إباحية الأفكار، إباحية الدم- جعلت هذه الحضارات تثمل وتغرق في مفهوم الحرية بدلا من أن تصبح الحرية طوق نجاة للإنسانية.

مفهوم الحرية في الإسلام

ولئن كانت الحرية في الحضارات الغربية تبدأ من التحرّر لتنتهي إلى ألوان من العبودية والأغلال، فإنّ الحرّية الرحيبة في الإسلام على العكس، فإنها تبدأ من العبودية المخلصة لله تعالى، لتنتهي إلى التحرّر من كل أشكال العبودية المهينة.

ولمفهوم الحرية في الإسلام علاقة مباشرة مع جوهر وجود الإنسان، ومن أجل ذلك المفهوم اعتبر الإنسان نفسه مخلوقاً مميزاً عن بقية مخلوقات الأرض، وجعل أعلى مفاهيم الحرية في توحيد الله عز وجل، حيث تتحرر النفس البشرية والعقل الإنساني من القيود الوثنية وعبادة الفرد لغير الله، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَّ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهَّ) [آل عمران ٦٤].

فبدأ القرآن العظيم بتحرير الإنسان من كل العبوديات بجميع أشكالها على أساس العبودية المخلصة لله وحده، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنهما والأمة من خلفه أن يرفعوا الأغلال عن عقولهم لأن الآجال والأرزاق والنفع والضر بيد الخالق

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"، ونهاهم عن التبعية المقيتة والسلبية القاتلة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا". [أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب] ومن هنا فهم صحابة رسول الله مفهوم الحرية الحقيقي فأيدته أقوالهم وأفعالهم، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عمرو بن العاص واقتص للمصري منه وقال قولته المشهورة "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

إن الحرية في المفهوم الإسلامي قيمة كبرى تحتل من سلم المقاصد الدينية الدرجات العليا، وهي قيمة ثابتة تتصف بالديمومة في الزمان والمكان، وهي من صميم أصول الدين وليست من فروعه كما يبدو واضحا في عقيدة الإقرار بوحدانية الله والتحرر من كل شيء سوى الأمر الإلهي، سواء كانت دوافعه داخلية كشهوات النفس، أو خارجية كسلطان غاشم، أو تقليدا أعمى، أو تسلط رجل دين لم يفهم مقاصد شريعة الإسلام.

فالحرية التي جاء الإسلام يشرعها للناس هي هذه الحرية التي تتضمنها عقيدة التوحيد، ولذلك استحق التشنيع والتوبيخ كل من جعل هواه متحكما بإرادته بعد أن حرره الله منه فقال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) [الفرقان ٤٣]، كما جعل الإسلام عبودية المال التي لها مخاطرها التي يعلمها كل ذي لب منقصة للإيمان ومناقضة لجوهر التوحيد فقال صلى الله عليه وسلم: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة، والخميصة".

لذلك فإن الحرية في النظرة الإسلامية ضرورة من الضرورات الإنسانية، وفريضة إلهية، وتكليف شرعي واجب.. وليست مجرد حق من الحقوق، يجوز لصاحبه أن يتنازل عنه إن هو أراد. تحرر الإنسان من كلِّ الطواغيت، فشهادة التوحيد «لا إله إلا الله» هي جوهر التدين بالإسلام، فإنها تتضمن ثورة تحرر الإنسان من العبودية لكل الطواغيت، وقيمة الحرية ظلت في الممارسة والتطبيق في تاريخنا الإسلامي، وذلك عندما حرر الإسلام الإنسان من أغلال الجاهلية وظلمها وظلماتها.

وإننا إذا صنعنا ذلك كله، حتى جعلنا الإنسان يتحرّر من عبودية شهواته وينعتق من سلطانها الآسر ويمتلك إرادته، فسوف نخلق الإنسان الحرّ القادر على أن يقول: لا أو نعم، دون أن تكمم فاه أو تغلّ يديه هذه الشهوة الموقوتة أو تلك اللذة المبتذلة.

وهذا ما صنعه القرآن حين وضع للفرد المسلم طابعه الروحي الخاص، وطوّر من مقاييسه ومُثُله، وانتزعه من الأرض وأهدافها المحدودة إلى آفاق أرحب وأهداف أسمى، فلنستمع إلى قول الله عز وجل يقول: (زيِّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا واللهَّ عنده حُسن المآب* قل أؤنبّئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوانٌ من اللهَّ واللهَّ بصيرٌ بالعباد) [آل عمران ١٤-١٥].

هذه هي معركة التحرير في المحتوى الداخلي للإنسان، وهي في الوقت نفسه الأساس الأول والرئيس لتحرير الإنسانية في نظر الإسلام، وبدونها تصبح كل حرّية زيفاً وخداعاً أو أسراً وقيداً.

لمَ هذا التأكيد كله للثقافة؟! فمرة نتحدث عن الغزو الثقافي الذي يمتد في فراغنا، ومرة عن تعريف الثقافة وأنواع الثقافات، ومرة نحرّض أهل الخير والسعة أن ينفقوا في مشروعات الثقافة الإسلامية؟!.

والجواب هو أن ثقافة الأمة هي هويتها، هي قيمها وأخلاقها ومفاهيمها. فلا عجب أن نسلط الضوء اليوم على خلل ثقافي في الصف الإسلامي.

نلحظ، فيما نلحظ، لونين متباينين من ألوان الثقافة في التجمعات الإسلامية، إلى جانب ألوان أخرى: اللون الأول، وهو الذي نسميه أحياناً بـ "الثقافة المشيخية" وأصحابه يهتمون بالعلوم الإسلامية تجويداً وتفسيراً وعقيدة، وفقهاً وأصولاً.. ونحواً وصرفاً وبلاغة.. وينهلون من نتاج علماء هذه الأمة في صدر الإسلام وما أعقبه من قرون.

واللون الثاني، وهو ما نسميه بالثقافة العصرية. وأصحابه يُعنَون بالسياسة والإعلام والاقتصاد والإدارة والتنظيم.. مع قراءات إسلامية فكرية عامة، لا ترتبط عادة بأحد العلوم الإسلامية.

أصحاب اللون الأول يتصفون عادة بالسلوك الإسلامي المحافظ، ويؤكدون معاني التقوى والخلق، وتذكّرنا أقوالهم وأفعالهم بسيرة الصالحين من هذه الأمة ... لكنهم لا يكادون يعيشون عصرهم. قد يحسنون الردّ على شبهات المعتزلة والخوارج أكثر مما يحسنونه على شبهات الشيوعيين والوجوديين و"الليبراليين"... ويحفظون الأحكام الشرعية لمسائل عاشتها الأمة في سابق عصورها.. فإذا سئلوا عن مشكلات يعيشها المسلمون اليوم وقفوا حائرين، أو حاولوا أن يقيسوا مشكلات اليوم على مشكلات القرون الأولى، لينقلوا أحكام هذه إلى تلك.

وأصحاب اللون الثاني تهيمن عليهم مشكلات العصر، وثقافته، ورؤاه... فهم يجهدون في متابعة المتغيّرات في عالم السياسة والفكر والتكنولوجيا.. ويتألمون لتخلف المسلمين، ولما يتعرضون له من ظلم، ويحاولون أن يصِفُوا الدواء لأدواء الأمة. لكنهم، لقلة بضاعتهم من التحصيل الشرعي، يفكرون بأسلوب الثقافة الغربية، ويحللون الوقائع، ويترسمون خطى المستقبل.. من منظور هذه الثقافة.. ويقنعون أنفسهم أنهم على الحق والخير والصواب ما داموا يحبون الإسلام، ويعملون لأجله..

وينظر أصحاب اللون الأول نظرة تشكك في توجهات الفريق الآخر وفي اجتهاداته. إذ كيف يطمئنون إلى هذه التوجهات والاجتهادات، وأصحابها ذوو بضاعة مزجاة في علوم الشرع. لا يكاد أحدهم يحسن تلاوة القرآن وتجويده، فضلاً عن معرفته بالفقه وأصوله، والحديث وعلومه... وهي من أهم مكونات العقل المسلم والفكر المسلم والشخصية المسلمة.. فكيف إذا رافق ذلك كلَّه ترخّصٌ واضح في السلوك الفردي؟!.

أما الفريق الثاني فهو كذلك معجَبٌ بما عنده، يرى الآخرين متخلفين في فكرهم، قد يصلحون لإمامة الصلاة، والفتوى في شؤون العبادات، وفي قضايا الزواج والطلاق والميراث...

أما ما وراء ذلك فهم يجهلون الواقع، فكيف يوثَق بتقويمهم له، واجتهادهم في معرفة حكم الله فيه؟!.

وهكذا تتسع الشقّة، ولا يلتقي طرفاها إلا على مجاملات، أو أحاديث خفيفة، أو في مسائل قليلة تمثل اهتمامات مشتركة بينهما.

وقبل أن نسترسل في الحديث، نقرّ أنه إلى جانب هذين اللونين توجد ألوان أخرى تجمع من هذا اللون وذاك، وأنه قلما يخلو أحد أصحاب الثقافة المشيخية من اطلاعات واهتمامات تدخل في اختصاص الفريق الثاني، وكذلك نقول في أفراد الفريق الثاني.

ومع ذلك تبقى الفجوة قائمة: فريق من دعاة الإسلام قليلو البضاعة في معرفة أحوال العصر وعلومه ومعارفه وقيمه ومفاهيمه... وفريق آخر فقير في الزاد الشرعي.

فالفريق الأول عاجز عن توظيف علمه الشرعي في علاج مشكلات المجتمع، لجهله بماهيتها، وبُعده عن التعامل مع وسائلها... فهو كمن يملك رصيداً من الأدوية لكنه يجهل حالة المريض.

والثاني يفكر ويصول ويجول، ويحلل الواقع، ويصف العلاج.. على غير هدى من الشرع، وهو يحسب أنه في بحبوبة الدين وبؤرته...

فإذا وُوجه بنص من الكتاب أو السنة.. تصدى لتأويله بما يتفق مع فكرته. فبدل أن يكون تابعاً للنص، يريد أن يجعل النص تابعاً!!.

يلتبس في أذهان الفريق الأول – أحياناً – الفرق بين ما هو دين يجب التمسك به والدفاع عنه، وبين ما هو ملابسات عصر واجتهاد يحتمل الصواب والخطأ...

وتهيمن على فكر الفريق الثاني مواضعات العصر، وقيمه، ومفاهيمه، ومصطلحاته... فيجهد لعرض الإسلام وقضاياه بما يرضي أذواق الناس والثقافة السائدة في مجتمعهم.. من غير تمحيص لما يحمد الشرع مراعاته من ذلك، وما يسقطه من اعتباره...

هل المراد إذاً أن يكون الداعية موسوعياً يحيط بعلوم الشرع وعلوم العصر؟! وأين مَن يستطيع أن يحيط بعُشر علوم الشرع أو عشر علوم العصر، فضلاً عمن يحيط بها جميعاً؟!.

ليس هذا ما نريده، إنما نريد من كل فريق ألا يفرح بما لديه، أو يستغني به عما لدى أخيه، بل يوسّع أفقه، ويزيد من اطلاعاته في ميادين شتى، ويتعمق في اختصاصه... ليجمع بين عمق الاختصاص وسعة الاطلاع، ويردم الفجوة القائمة.

ولعلّ ما صار يُعرَف بالاجتهاد الجماعي، يشكّل رداً للهوّة المُشار إليها، وهو ما تقوم به المجامع الفقهية، حيث يجتمع علماء من مختلف الاختصاصات الشرعية ليتعرفوا إلى حكم الله تعالى في بعض المسائل المستجدّة، فيشترك معهم، حسب القضية المدروسة، علماء في الطب أو الكيمياء أو الاقتصاد... ويُدْلي كل منهم بما عنده وما يتعلّق باختصاصه، ويُشبِعون المسألة بحثاً ودراسة.

ولسنا نزعم أننا وفّينا الموضوع حقه تشخيصاً وعلاجاً، ولكن حسبنا أننا نبهنا وأشرنا (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

ونعني بالواقع "ما تجري عليه حياة الناس في مجالاتها المختلفة، من أنماط المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث"[١] ، وبما أن القاعدة الأصولية تقرر أن (الحُكْم على الشَّيء فَرْعٌ عن تَصَوُّره) فقد اشترط علماء الأصول أن يكون الفقيه عالماً بواقع العصر الذي يعيش فيه، مطلعاً بعمق على عادات مجتمعه وأعرافه وتقاليده، ولهذا قرروا القاعدة الأخرى التي تقول: (المَعْرُوفُ عُرْفاً كالمَشْروطِ شَرْطاً) ، وقاعدة (العادَةُ مُحَكَّمَةٌ). وانطلاقاً من هذه القواعد وأشباهها وجدنا الإمام الشافعي رحمه الله عندما انتقل إلى مصر خرج باجتهادات جديدة في عدد من المسائل التي كان قد أفتى بها من قبل، بسبب ما وجده في مصر من واقع مختلف عن واقع البلدان التي جاء منها.

وقبل الشافعي وجدنا الصحابة الأجلاء رضي الله تعالى عنهم يقفون موقفاً عملياً حكيماً من الواقع، فهذه مثلاً السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: "لو أدْرَكَ رسولُ الله ما أحْدَثَ النِّساءُ لَمَنَعَهُنَّ المسجدَ كما مُنِعَتْ نساءُ بني إسرائيلَ"[٢].

وقال عمر رضي الله عنه لحذيفة عندما تزوج امرأة من أهل الذمة: "إني أخافُ أنْ يَقْتَدِيَ بِكَ المسلمونَ، فَيَخْتاروا نساءَ أهلِ الذِّمَّةِ لِجَمالِهِنَّ، وَكَفَى بذلكَ فتنةً لنساءِ المسلمينَ"[٣].

وقال عثمان رضي الله عنه في تعليله إتمام صلاته في السفر: " وَلكنَّي إمامُ الناسِ ، فينظرُ إليَّ الأعرابُ وأهلُ البادية أصلِّي رَكْعَتَيْن فيقولونَ: هكذا فُرِضَتْ"[٤].

وورد في الأثر كذلك أن الصحابي الفقيه ابن عباس رضي الله تعالى عنه أتاه رجل يسأله: هل للقاتل من توبة؟ فأجابه ابن عباس: أجل ، ومن يمنعه من ذلك؟ وبعد حين أتاه رجل آخر فسأله نفس السؤال: هل للقاتل من توبة؟ فنظر إليه ملياً ثم أجابه: لا، ليس للقاتل توبة. فلما انصرف الرجل التفت بعض الأصحاب إلى ابن عباس مستغربين اختلاف جوابه في الحالتين، مع أن المسألة واحدة، فأجابهم بأن السائل الأول جاء يسأل عن الحكم بعد أن وقع منه القتل فعلاً، وقد أحس بعظم الذنب الذي ارتكبه فجاء عازماً على التوبة، وأما الثاني فجاء يسأل عن الحكم قبل أن يقع منه القتل، فجاء يسأل عن فتوى تعينه على ذلك[٥].. وفي هذا دليل على عمق فقه هذا الصحابي الجليل، وفيه كذلك دليل على اختلاف الفتوى باختلاف واقع الحال.

ولا بأس أن نستطرد هنا قليلاً فنذكر قصة أخرى لبيان أثر فهم الواقع في الحكم عليه، تلك هي قصة نبي الله موسى مع العبد الصالح عليهما السلام، كما وردت في سورة الكهف، فقد رأى موسى عليه السلام من أفعال العبد الصالح ما لا يستقيم مع مقاصد الشريعة،إذ أقدم على خرق السفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر، وقتل غلاماً صغيراً بغير ذنب، وأصلح الجدار للقرية التي أبت أن تطعمهما أو تسقيهما على شدة ما كان فيهما من جوع وعطش، ولهذا لم يستطع موسى عليه السلام أن يصبر على مشاهدة هذه الأفعال الغريبة التي بدرت من العبد الصالح، فكان كلما رأى منه فعلاً صاح فيه مستنكراً: (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً .. لَقَدْ جِئْتَ شَيئاً نُكْراً)

فهذا الموقف من موسى عليه السلام نشأ عن عدم معرفته بالواقع الذي أخفاه الله تعالى عنه لحكمة يريدها سبحانه، بينما كشفها للعبد الصالح، فلما علم موسى بالواقع هدأت نفسه وأدرك الحكمة مما شاهده .. وهكذا هي حال الذين يجهلون الواقع، فقد تخفى عليهم الحقيقة، وينتهون إلى رؤى وأحكام بعيدة كل البعد عن الحكمة.

واضح إذاً مما قدمناه، أن معرفة النصوص لا تكفي وحدها لإصدار أحكام تلائم الواقع وتحل مشكلاته، بل لابد إلى جانب النصوص من فهم الواقع فهماً دقيقاً، والإحاطة بمختلف ملابساته "ذلك أنَّ مقاصِدَ الكلامِ ومَدارهُ [يتوقف] على معرفةِ مقتضياتِ الأحوالِ، إذ الكلامُ الواحدُ يختلفُ فهمُهُ باختلاف الأحوالِ، والجهلُ بالأسباب مُوقِعٌ في الانحرافِ في الظاهر، ومُفْضٍ إلى النِّزاع والاعتسافِ"[٦]، ولكي يتجنب الفقيه الوقوع بمثل هذه الإشكاليات ينبغي أن يتمتع بعمق الرؤية، وفهم دقيق صحيح للواقع الذي يعيش فيه.

وفهم الواقع فهماً دقيقاً ليس بالأمر اليسير دوماً، بل يحتاج في الغالب إلى فكر ثاقب، وبصيرة نافذة، وبديهة حاضرة، وعقل ناقد، ودراسة متأنية دقيقة للواقع، ونعتقد أن هذا ما دفع بعض الفلاسفة والمفكرين إلى الشك بما يرونه في الواقع من أجل فهم أدق لهذا الواقع، والوصول إلى معرفة يقينية له

ومن هذا المنطلق يقول الجاحظ : "وبعد هذا فاعرفْ مواضعَ الشَّكِّ، وحالاتِها الموجبةَ له، لتعرفَ بها مواضعَ اليقينِ والحالاتِ الموجبةَ له .. وقد نازعتُ من الملحدينَ الشَّاكَّ والجاحدَ، فوجدتُ الشُّكاكَ أبْصَرَ بجوهرِ الكلام من أصحابِ الجُحودِ .. ولم يكنْ يقينٌ قطُّ حتى كانَ قبلَهُ شَكٌّ"[٧].

ثم جاء الإمام أبو حامد الغزالي فحرَّر (مبدأ الشك) تحريراً أوضح ، وبيَّن ما للشَّكِّ من فوائد عظيمة في التوصل إلى فهم الواقع فهماً موضوعياً سليماً، فقال: "إنَّ مَنْ لَمْ يَشُكَّ لَمْ يَنْظُرْ، وَمَنْ لَمْ يَنْظُرْ لَمْ يُبْصِرْ، وَمَنْ لَمْ يُبْصِرْ بَقِيَ في العَمَى والحَيْرةِ والضَّلالِ"[٨].

وبعد أكثر من خمسة قرون جاء الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠م) فاقتبس مبدأ الشك وتوسع فيه حتى أصبح ينسب له، وقد عمم ديكارت مبدأ الشك في كل شيء من حوله، حتى شك بوجوده هو نفسه، وبناء على هذا الشك وضع أربع قواعد للوصول إلى اليقين عرضها في كتابيه (مقال في المنهج) و (قواعد لهداية العقل) خلاصتها:

(١) أن لا يقبل مسألة على أنها صحيحة إلا إذا عرفها بالبينة.

(٢) تقسيم المسألة إلى أجزاء ليكون حلها أيسر.

(٣) ترتيب الأفكار مبتدئاً بالأبسط والأيسر.

(٤) إعادة النظر في المسألة للتثبت من أنه لم يغفل منها شيئاً.

وتوصل ديكارت من هذه القواعد إلى أن ثمة أموراً لا تقبل الشك أبداً

منها وجود الخالق عزَّ وجلَّ، ووجود العالم حقيقة لا وهماً كما يزعم الفلاسفة الماديون[٩]، وقد كان لهذا المنهج تأثير واسع في الفلاسفة الذين جاؤوا بعد ديكارت لشدة تأكيده على دور العقل بالوصول إلى الحقائق وتدريبه على التفكير العلمي المنظم .

وقبل ديكارت بنحو ثلاثة قرون كان الفقيه الأندلسي ابن خلدون قد استفاد من مبدأ الشك وجَرَّبه على علوم التاريخ والرواية والفقه، وانتهى إلى أهمية الشك في تمحيص الأخبار والروايات، والتثبت من مطابقتها للواقع، وعدم التسليم بصحتها لمجرد الوثوق بمن رووها "لأنَّ الأخبارَ إذا اعتُمدَ فيها على مجرَّدِ النَّقْلِ، ولم تُحَكَّمْ أصولُ العادةِ، وقواعدُ السياسةِ، وطبيعةُ العمرانِ والأحوالِ في الاجتماع الإنساني، ولا قيسَ الغائبُ منها بالشَّاهدِ، والذاهبُ بالحاضرِ، فربَّما لم يُؤْمَن فيها من العثورِ ومَزَلَّةِ القَدَمِ والحَيْدِ عن جادَّةِ الصِّدقِ.

وكثيراً ما وقعَ للمؤرخين والمفسرين وأئمةِ النقلِ المَغَالِطُ في الحكاياتِ والوقائعِ، لاعتمادهم فيها على مجردِ النقلِ غَثاً أو سميناً، فلم يَعْرِضُوها على أصُولِها، ولا قاسُوها بأشباهِها، ولا سَبَرُوها بمعيارِ الحكمةِ، والوقوفِ على طبائعِ الكائناتِ، وتحكيمِ النظرِ والبصيرةِ في الأخبارِ، فَضَلُّوا عن الحَقِّ، وتاهُوا في بيداءِ الوَهْمِ والغَلَطِ" [١٠].

وبهذه العقلية الناقدة يستعرض ابن خلدون أحداثاً تاريخية عديدة، فيفنِّدها ويردُّها مهما كان راويها عالي القدر بميزان الجَرْح والتَّعْديل ، ومن هذا المنطلق يوجه نصيحة غالية للباحثين ، يقول فيها: "ولا يُرْجَعُ إلى تعديلِ الرُّواةِ حتى يُعْلَمَ أنَّ ذلكَ الخبرَ في نفسه ممكنٌ أو ممتنعٌ، وأما إذا كانَ ذلكَ مستحيلاً فلا فائدةَ للنَّظَرِ في التعديلِ والتجريحِ .. وإذا كانَ ذلكَ فالقانونُ في تمييزِ الحقِّ من الباطلِ في الأخبارِ بالإمكانِ والاستحالةِ أن ننظُرَ في الاجتماعِ الإنسانيِّ الذي هو العمران، ونميِّزَ ما يَلْحَقُهُ من الأحوالِ لذاتِهِ وبمقتضى طَبْعِهِ، وما يكونُ عارِضاً لا يُعْتَدُّ به وما لا يمكن أن يَعْرِضَ له، وإذا فعلنا ذلكَ؛ كانَ ذلكَ لنا قانوناً في تمييز الحقِّ من الباطلِ في الأخبارِ، والصِّدقِ من الكذبِ بوجهٍ برهانيٍّ لا مدخلَ للشَّكِّ فيه" [١١].

وهكذا انتبه ابن خلدون في لحظة من لحظات التوقُّد الذهني الذي برع فيه إلى أنَّ فهم الواقع هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به فهمنا للروايات والأخبار والنصوص، فإذا أضفنا إلى هذا أن النص لا يعطي معناه بصورة تلقائية، بل نحن الذين نشحنه بالمعنى من خلال خبرتنا وتجاربنا مع الواقع وإدراكنا الحسي ووعينا العقلي بهذا الواقع، فإننا ندرك حينئذ عمق هذه الفكرة التي انتهى إليها ابن خلدون، والتي تتلخص بضرورة مراوحة النظر ما بين النص والواقع لأن هذه المراوحة يمكن أن تجنبنا الكثير من المزالق في التعامل مع النص.

ولهذه الأسباب ونحوها ركز بعض الفقهاء على أهمية فهم الواقع عند التعامل مع النصوص واستنباط الأحكام منها، فهذا مثلاً الإمام الفقيه ابن القيم يقول: "ولا يتمكنُ المفتي ولا الحاكمُ من الفتوى والحُكْمِ بالحقِّ إلا بنوعين من الفَهْم

أحدهما: فهمُ الواقعِ، والفقهُ فيه، واستنباطُ علمِ حقيقةِ ما وَقَعَ بالقرائنِ والأماراتِ والعلاماتِ حتى يحيطَ به علماً.

والثاني : فهمُ الواجبِ في الواقع، وهو فهمُ حُكْمِ اللهِ الذي حَكَمَ به في كتابهِ أو على لسانِ رسولهِ في هذا الواقعِ، ثم يطبِّقُ أحدَهما على الآخر، فَمَنْ بَذَلَ جُهْدَهُ واستفرَغَ وِسْعَهُ في ذلك لم يَعْدَم أجرين أو أجراً، فالعالِمُ مَنْ يتوصَّلُ بمعرفةِ الواقعِ والتفقُّهِ فيهِ إلى معرفةِ حكمِ اللهِ ورسولِهِ".[١٢]

ويؤكد أحد الأصوليين المعاصرين العلاقة العضوية التي تربط فهم الواقع بتأويل النصوص وسلامة تنزيلها على هذا الواقع، فيقول: "إذ التَّفَهُّمُ للنَّصِّ الشَّرعيِّ يبقى في حَيِّزِ النَظَرِ، ولا يَسْلَمُ تطبيقُهُ إلا إذا كان ثمةَ تَفَهُّمٌ واعٍ للوقائعِ بمكوناتها وظروفها، وتَبَصُّرٌ بما عسى أن يُسْفِرَ عنه التطبيقُ من نتائجَ، لأنها الثمرةُ العمليةُ المتوخَّاةُ من الاجتهادِ التشريعيِّ كلِّه".[١٣]

ولعل أوضح مثال على صحة هذه القاعدة ما ذكرناه عن الخلاف الذي حصل في أوروبا في القرون الوسطى ما بين أرباب الكنيسة وعلماء الفلك، فقد رفض أرباب الكنيسة مقولات العلماء استناداً إلى تفسيرهم الخاص لنصوص الكتاب المقدس، متجاهلين (الواقع) الذي اكتشفه العلماء من خلال رصدهم الدقيق للظواهر الكونية

ولم يحسم هذا الخلاف المؤسف بين الطرفين إلا بالرجوع إلى (الواقع) الذي أثبت صحة ما قال به العلماء، وخطأ ما قال به أرباب الكنيسة. ولهذا ينبغي أن نكون حذرين غاية الحذر من الوقوع في الخطأ نفسه، فنتعامل مع النصوص بمعزل عن الواقع، فنقع في ما وقعوا فيه، ونظلم النصوص برؤيتنا القاصرة عن فهم الواقع !

---

١. د. عبد المجيد النجار : خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ، ص ١١٢ .
٢.أخرجه البخاري ومسلم.
٣.أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ، كتاب أهل الذمة ٦/ ٧٨ .
٤.أخرجه أبو داود في "سننه" ، كتاب الحج ١٩٦٤ .
٥.أخرج هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنه ابن أبي شيبة في "المصنف" ج٩، ص٣٦٢، والواحدي في "التفسير الوسيط" ج٢، ص ٩٩، وقال الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير" ج٤، ص ٤٥٤ عن سند ابن أبي شيبة: رجاله ثقات.
٦.د. حمادي العبيدي : الشاطبي ومقاصد الشريعة ، ص ١٢٩ ، والشرح بين معترضتين من عندنا .
٧.الجاحظ : كتاب الحيوان ، ٦/ ٣٥ .
٨.الغزالي : ميزان العمل ، ص ٢١٦ .
٩.انظر : موسوعة الفلسفة ، د.عبد الرحمن بدوي .
١٠. مقدمة ابن خلدون، ص ١٦ .
١١.المصدر السابق، ص ٤٢ .
١٢.ابن القيم : إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ١/ ٨٧
١٣.د. محمد فتحي الدريني : المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي ، ص ٥ .

شرف الوثبة أن ترضي العلا .. غلب الواثب أم لم يغلبِ

ظلّت محاولات "الجهاد الأمميّ" لفتح القسطنطينية مستمرةً مدّة ثمانية قرون حتى تمكّن السلطان محمد خان من فتحها والسيطرة عليها .. وما فتئ المسلمون يجّهزون بعوث "جهاد الطلب" إلى مشارق الأرض ومغاربها رغبة بإبقاء جذوة الجهاد مستعرة برغم ما كانت تُمنى به في مواطن عديدة من خسائر وخيبات .. وقد اندحرت هذه البعوث مرارًا .. فلم يصفها واصف بالتجارب الفاشلة برغم ما جرّته أحيانًا من أزمات اقتصادية كما حصل أيام الدولة العثمانية التي أكثرت من الغزو والتوسّع .. حتى أتى على الناس في إثر ذلك سنون شداد أكلت من قوتهم وأرزاقهم .. إذ إن انشغال الأمة بالجهاد أمر لا معدل عنه .. كما أن انشغالهم عنه صورة من صور الرّكون إلى الدنيا وارتضاء للقعود مع الخالفين .. وهذا محلّ سخط من الله ورسوله وتغرّة أن تقع الأمة بمسالك مردية ..

ظلّت الأمة على هذا الأمر حتى شاءت مقادير الحكمة أن تحل منظومة الدولة الحديثة محل المنظومة التي فرضها الإسلام خلال قرون سيادته .. فتبدل حكم الناس تبعًا لذلك على الجهاد وصوره .. وصار للحدود التي رسمتها أيادٍ عابثةٌ حقٌّ واجب الأداء .. وقداسة تستتبع التحصين ..

وتكاثرَ حولها المنافحون عنها وعما أفرزته من واقع تقسيمي بين الأعراق والإثنيات وبين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية .. وصارت كل منجزاتها من تجريف للوعي وتخريب لثقافة الناس وتغيير لطبائع الشعوب وزرع لقابلية الاستعمار الثقافي محلًّا للثناء وموطنًا للتقدير .. كما أصبح من يحاول نقض هذه المنظومة أو يسعى إلى حل عراها موصوفًا بالجهل والرجعيّة ومحلًا للعيبة والذمّ ..!

بل وصل الأمر ببعضهم إلى وصف العمود الفكري لجماعات الجهاد برمّتها بأنه "لا يتعدى الأدبيات التحريضية والتعبوية الركيكة للسلفية الجهادية، وسمتها المشتركة الضمور التام للبعد الروحي والإيماني للتدين الإسلامي ذاته، فضلاً عن كل ما له علاقة بالعالم الثقافي والأخلاقي الحديث"..!!

هذا كلام كبيرهم .. فدعك من صغارهم .. الذين لا شغل لهم اليوم إلا إذكاء نار الفتنة والنفخَ فيها لتبلغ شأو التي في صدورهم .. وقد أشرت قديمًا إلى حالة نفسيّة تعتري صدور هؤلاء القوم .. هي ما يكون اليوم من وراء فعلهم هذا ..!

وقد كان من فضل الله على عباده أن سخر لهذه الأمة رجالًا باعوا أرواحًا يضنّ بها المنخوبون والأنكاس واليراع .. من أجل إيقاد جذوة الجهاد .. وإحاطتها بالمهج خوفًا عليها .. ورأفة بعباد الله من سخطه عليهم .. وإشفاقًا من أن يستعبدهم المحتل بثقافة تمسخ هويتهم وتجتث جذرهم وتبيد خضراءهم .. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لن يَبرحَ هذا الدّينُ قائمًا يُقاتِل عليه عصابةٌ مِن المْسلمين حتّى تقومَ السّاعة" رواه مسلم.

والدفاع عن المشروع الجهادي جهاد بحدّ ذاته .. بعيدًا عمن ينتحل اسمه ويتخلى عن رسمه .. أو يسوّغ لنفسه بالتوسّل به القتلَ وسفكَ الدَماء وارتكاب المجازر وتمزيق الصفّ وحلّ العُرى .. إلا أنّ العقلاء يعرفون أن النّقدَ أمر والطعنَ أمر آخر .. وأن الكشفَ عن فصيل تزيّا بزيّ المجاهدين ولم يكن منهم .. يباين كل المباينة .. جعل هذا الفصيل أنموذجًا ليضرب من ورائه كل حركات الجهاد .. بل المشروع الجهاديّ كلّه ..

ثم يأتي زمان على النّاس يصير فيها المجاهد متّهمًا ملاحقًا لا من أعدائه فحسب .. بل من الأقربين الذي يحملون الهمّ الواحد والملامح المشتركة والسّمت القريب ..!

ولذا خاطب عمر أبو ريشة ذوي الشرف .. الذين يعرفون مهر "عروس المجد" دون غيرهم من فاقديه:

شرف الوثبة أن ترضى العُلا غلبَ الواثبُ أو لم يغلبِ

السؤال

امرأة اعتقل زوجها من قبل النظام المجرم، وانقطعت أخباره من شهور طويلة، وقد وصلت معلومات عن قتله لكننا غير متأكدين من ذلك، فكيف تتصرف المرأة؟ وهل تعتبره متوفيًا؟ وإن لم تعرف مصيره فهل يجوز لها أن تطلب الطلاق؟ وهل لها أن تتزوج؟ وماذا لو رجع زوجها الأول بعد زواجها؟

الجواب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لا يجوز الحكم بوفاة أي شخص ثبتت حياته إلا إذا قامت البينة على ذلك، لكن "المفقود" له أحكام تخصه في الشريعة، وهذا تفصيلها:

أولاً: المفقود هو الشخص الذي غاب عن أهله وانقطعت أخباره، فلا يُدرى أحي هو أم ميت، ويشمل ذلك:

١. من خرج من بيته أو سافر، وانقطعت أخباره تمامًا.

٢.الأسير الذي لا يعلم موضعه، ولا يمكن الاطلاع على أخباره.

٣. من فُقد خلال الحروب فلا يعلم حاله: أحيٌّ هو أم ميت.

قال الإمام النووي -رحمه الله- في "روضة الطالبين": "فَالْمَفْقُودُ: الَّذِي انْقَطَعَ خَبَرُهُ، وَجُهِلَ حَالُهُ فِي سَفَرٍ، أَوْ حَضَرٍ، فِي قِتَالٍ، أَوْ عِنْدَ انْكِسَارِ سَفِينَةٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا... وَفِي مَعْنَاهُ: الْأَسِيرُ الَّذِي انْقَطَعَ خَبَرُهُ".

ثانياً: الأصل في المفقود: الحياة، وانقطاع أخباره وإن كان يوجب شكًا في حياته، إلا أن هذا الشك لا يزيل اليقين، وهو حياته التي تيقنَّاها من قبل، والقاعدة الفقهية المقررة عند العلماء: "اليقين لا يزول بالشك".

ولا يجوز العدول عن هذا الأصل إلا ببيِّنة واضحة، كخبر الثقات القائم على المشاهدة، سواء من رفقاء السجن، أو زملاء المعركة، ولا يُكتفى في هذا الباب بالظنون المجردة أو الأخبار المتناقلة.

وبناء عليه: فلا يجوز لورثة المفقود قسمة ماله، ولا لزوجته أن تتزوج إلا بعد أن يثبت موته ببينة شرعية، أو يصدر حكم من القاضي الشرعي بذلك.

ثالثاً: إن لم تحصل البينةُ على وفاة الزوج أو لم يصدر حكمٌ من القاضي بموته وتعجَّلت المرأة الزواج، فهذا النكاح باطل، ويجب عليها أن تنفصل عن زوجها الثاني فورًا.

قال ابن قدامة: " فأما الأنكحة الباطلة كنكاح المرأة المزوَّجة أو المعتدة أو شبهه فإذا علما الحلَّ والتحريم فهما زانيان وعليهما الحد ولا يلحق النسب فيه".

وقال أيضاً: "وإن كانا جاهلين بالعدة، أو بالتحريم، ثبت النسب، وانتفى الحد، ووجب المهر".

رابعاً: إذا طالت غيبة المفقود دون أن يعود إلى أهله، فلهم أن يرفعوا أمرهم للقاضي الشرعي الذي يُحدد مدةً للانتظار، فإن لم يرجع خلالها حكم القاضي بوفاته.

ونظراً لخلو المسألة من نص شرعي صحيح، فقد اختلف الفقهاء في تحديد هذه المدة.

وأقرب الأقوال في المسألة: أنَّه يُرجع في ذلك للقاضي الشرعي في كلِّ بلدةٍ بحيث ينظر في كل قضية، ويحدِّد مدةً للتربص والانتظار يغلب على الظن موته بعدها، بحسب الظروف المحيطة بكل حادثة والقرائن الملابسة لها؛ لأنَّ حال المفقود يختلف من مكان لآخر، وظروف الفقد تختلف من حالة لأخرى، فلكل واقعة أحوالها وظروفها التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار.

قال الزيلعي -رحمه الله- في "تبيين الحقائق" مبيناً المدة التي يُحكم بعدها بوفاة المفقود: "وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ يُفَوَّضُ إلَى رَأْيِ الْإِمَامِ [أي القاضي]؛ لِأَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْبِلَادِ، وَكَذَا غَلَبَةُ الظَّنِّ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ".

وقال الماوردي -رحمه الله- في "الحاوي": "وَأَمَّا الْمَفْقُودُ إِذَا طَالَتْ غَيْبَتُهُ فَلَمْ يُعْلَمْ لَهُ مَوْتٌ وَلَا حَيَاةٌ، فَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ عَلَى حُكْمِ الْحَيَاةِ حَتَّى تَمْضِيَ عَلَيْهِ مُدَّةٌ يُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَعِيشَ بَعْدَهَا، فَيُحْكَمُ حِينَئِذٍ بِمَوْتِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَقَدَّرَ ذلك بزمان محصور، وهذا ظَاهِرُ مَذْهَبِ أبي حنيفة وَمَالِكٍ".

وجاء في قرار المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية والعشرين المنعقدة بمكة المكرمة لعام (١٤٣٤هـ): "ويُترك تحديد المدة التي تنتظر للمفقود للقاضي، بحيث لا تقل عن سنة ولا تزيد على أربع سنوات من تاريخ فقده؛ ويستعين في ذلك بالوسائل المعاصرة في البحث والاتصال ويراعي ظروف كل حالة وملابساتها ويحكم بما يغلب على ظنه فيها". انتهى.

وإذا مضت المدة التي حددها القاضي للانتظار ولم يعثر له على أثر بعد بذل الوسع في البحث بمختلف الطرق، فإن القاضي يحكم حينئذ بوفاته، وتعتد بعدها امرأته عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً، ويحل لها أن تتزوج، ولورثته اقتسام ماله.

ولا تترتب هذه الآثار إلا بعد حكم القاضي بوفاته.

خامسًا: من فُقد ولم يُعلم حاله، ثم تبينت وفاته بخبر مؤكد، فإنَّ عدة زوجته تكون من يوم وفاته، لا من يوم علمها بها.

وعليه، فإن لم تتأكد من خبر وفاته إلا بعد الأربعة أشهر وعشرة أيام: فلا عدة عليها.

قال ابن عبد البر -رحمه الله- في "التمهيد": "وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ كُلَّ مُعْتَدَّةٍ مِنْ طَلَاقٍ أَوْ وَفَاةٍ تُحْسَبُ عِدَّتُهَا مِنْ سَاعَةِ طَلَاقِهَا أَوْ وَفَاةِ زَوْجِهَا".

سادسًا: من فُقد ولم يُحكَم بموته، أو عُلمت حياته ولكنه غاب عن زوجته فترةً طويلة لسفر أو سجن، بحيث ترتب على الزوجة أو أبنائها ضرر من هذا الغياب، إما لعدم تركه ما يكفيهم من النفقة، أو لخشيتها على نفسها من الفتنة، أو حاجتها لمن يقوم على شؤون الأسرة وتربية الأبناء، أو غير ذلك من وجوه الضرر.

فمن حقها -إن شاءت- المطالبة بفسخ النكاح لرفع الضرر، سواء كانت غيبته لعذر أم لا.

ففي ترك الزوجة أو العائلة ضرر معنوي ومادي ظاهر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)، ومن القواعد الفقهية المقرَّرة: "الضرر يزال".

وإزالة هذا الضرر لا تتم إلا بعودة الزوج أو التفريق بينهما.

جاء في "الموسوعة الفقهية" :"ذهب المالكية إلى جواز التفريق على المحبوس إذا طلبت زوجته ذلك وادعت الضرر، وذلك بعد سنة من حبسه، لأن الحبس غياب، وهم يقولون بالتفريق للغيبة مع عدم العذر، كما يقولون بها مع العذر على سواء" انتهى.

وقال ابن تيمية -رحمه الله- في "الفتاوى الكبرى": "وَحُصُولُ الضَّرَرِ لِلزَّوْجَةِ بِتَرْكِ الْوَطْءِ مُقْتَضٍ لِلْفَسْخِ بِكُلِّ حَالٍ، سَوَاءٌ كَانَ بِقَصْدٍ مِنْ الزَّوْجِ أَوْ بِغَيْرِ قَصْدٍ، وَلَوْ مَعَ قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِ، كَالنَّفَقَةِ وَأَوْلَى...، وَعَلَى هَذَا فَالْقَوْلُ فِي امْرَأَةِ الْأَسِيرِ وَالْمَحْبُوسِ وَنَحْوِهِمَا مِمَّنْ تَعَذَّرَ انْتِفَاعُ امْرَأَتِهِ بِهِ إذَا طَلَبَتْ فُرْقَتَهُ كَالْقَوْلِ فِي امْرَأَةِ الْمَفْقُودِ".

وجاء في قرار المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية والعشرين المنعقدة بمكة المكرمة لعام (١٤٣٤هـ): "للزوجة إذا تضررت من مدة انتظار زوجها المفقود أن ترفع أمرها للقاضي للتفريق بينها وبين زوجها المفقود للضرر، وفق الشروط الشرعية لهذا النوع من التفريق".

وفي حال فسخ نكاح المرأة من زوجها المفقود أو الغائب قبل الدخول فعلى المرأة أن تردَّ المهر لذويه كاملاً، بخلاف ما لو كان الفسخ بعد الدخول فهو من حق المرأة .

قال ابن قدامة -رحمه الله- في "المغني" عن الفسخ: "أَنَّ الْفَسْخَ إذَا كَانَ بَعْدَ الدُّخُولِ، فَلَهَا الْمَهْرُ؛ لِأَنَّ الْمَهْرَ يَجِبُ بِالْعَقْدِ، وَيَسْتَقِرُّ بِالدُّخُولِ، فَلَا يَسْقُطُ... وَيَجِبُ الْمَهْرُ الْمُسَمَّى".

سابعًا: إن ظهر المفقود حياً بعد أن حكم القاضي الشرعي بوفاته، وقد تزوجت امرأته دون فسخ النكاح الأول، فإنه يكون أحق بها من زوجها الثاني، وفي هذه الحال يفسخ النكاح الثاني وتعتد المرأة منه (بحيضة واحدة) ثم ترجع لزوجها الأول.

وإن رغب عنها وأقر هذا الزواج الثاني، فله ذلك، ومن حقه استرداد المهر الذي دفعه لها من زوجها الثاني.

وأي الخيارين اختار، فليس له الرجوع عنه.

روى ابن أبي شيبة في المصنف عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ -رضي الله عنهما- قَالاَ: "إِنْ جَاءَ زَوْجُهَا خُيِّرَ بَيْنَ امْرَأَتِهِ وَبَيْنَ الصَّدَاقِ الأَوَّلِ".

وقال ابن قدامة في "المغني": "وَإِنْ قَدِمَ بَعْدَ دُخُولِ الثَّانِي بِهَا، خُيِّرَ الْأَوَّلُ بَيْنَ أَخْذِهَا، فَتَكُونُ زَوْجَتُهُ بِالْعَقْدِ الْأَوَّلِ، وَبَيْنَ أَخْذِ صَدَاقِهَا، وَتَكُونُ زَوْجَةَ الثَّانِي...؛ لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ".

قال الخطيب الشربيني -رحمه الله- في "مغني المحتاج": " لكن لا يطؤها حتى تعتد من الثاني".

وتفادياً لحدوث مشاكل من قضايا الغيبة والمفقود، فالأولى للمرأة التي طال غياب زوجها وانقطعت أخباره وتضررت بذلك: أن ترفع أمرها للقاضي ليحكم بفسخ النكاح ثم تعتد وتتزوج.

فإنَّ فسخ النكاح يختلف عن الحكم بوفاة الزوج، وبالتالي فلا أثر لعودة زوجها الأول على نكاحها الثاني؛ لأن النكاح الأول مفسوخ بحكم القاضي الشرعي.

ثامنًا: فيما يتعلق بأموال المفقود العائد: إن لم يصدر حكم من القاضي بموته وقسَّم الورثة ماله ثم ظهرت حياته: فإنها تعاد إليه، ومن أنفق شيئاً منها ضمنه له؛ لأنه تصرَّف بملك غيره دون وجه حق، ولا يستثنى من ذلك إلا النفقات الشرعية الواجبة في ماله.

أما إن عاد المفقود بعد حكم القاضي بوفاته، فإنه يسترد الأموال المتبقية بيد ورثته فقط، وأما الأموال التي أنفقت، فلا ضمان فيها؛ لأنها أُنفقت بناء على حكم قضائي، وبمقتضاه صار مأذوناً لهم بهذا التصرف، وما ترتب على المأذون فيه فهو غير مضمون.

نسأل الله تعالى أن يفكَّ أسر المأسورين، ويرحم الشهداء والأموات، ويرحم الضعفاء.

والحمد لله رب العالمين

"قدر الله لي أن أعيش مع الرسول صلى الله عليه وسلم عشرين عاما بشكل مستمر، ورفقة الرسول لا تعادلها رفقة... لكن كان ما أحلم به هو: متى أعيش مع أحبابي وأهلي في التل؟!".

بهذه الكلمات بثّ المفكر السوري الدكتور منير الغضبان أشواقه إلى مدينته في الريف الدمشقي، التل. قالها دون أن يعلم أن خطى المنية أسرع إليه من خطرات الأمل. تلك الابتسامة التي عُرف بها كانت تعلو محياه وهو يتحدث كأن صورة "التل" التي يعرفها قبل أن يغادرها في سبعينيات القرن الماضي، ترتسم أمامه.

هبت رياح الثورة السورية عام ٢٠١١ وحملت للشيخ -المنفي منذ نحو أربعة عقود بسبب معارضته نظام الأسد- نسائم أنعشت في قلبه أمل اللقاء، لكن سهام المرض الممض كانت أسرع إليه وأقوى، فدخل في صراع مع آلامه استمر عامين حتى وافته المنية يوم الأحد الماضي، فدفن في مكة المكرمة مسقط رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ألّف في خدمة سيرته المطهرة عشرات المجلدات.

مع السيرة النبوية

ولد منير محمد الغضبان عام ١٩٤٢ في مدينة التل بريف دمشق، وأجيز في الشريعة الإسلامية من جامعة دمشق عام ١٩٦٧.

وعلى الرغم من أن اللغة العربية كانت هي محور اختصاصه الأكاديمي -إذ نال فيها الماجستير من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة عام ١٩٧٢، ثم الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم بالسودان عام ١٩٩٧- فإنه برّز بإسهاماته الجليلة وجهوده في السيرة النبوية، التي وصفها الدكتور وصفي عاشور أبو زيد -في مقال يرثي به الفقيد- بأنها "مثلت محطة فارقة في تطوير الكتابة في السيرة النبوية، فيمكننا القول: الكتابة في السيرة ما قبل الغضبان، وما بعد الغضبان".

وكان من أبرز ما كتبه فيها: "المنهج التربوي للسيرة النبوية" (١١ مجلدا)، و"المنهج الحركي للسيرة النبوية"، و"أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية"، و"التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية"، فضلا عن مؤلفات عديدة عن بعض أعلام الصحابة والصحابيات.

كما عاش منير الغضبان هموم أمته وكانت قضاياها حاضرة معه، ومما كرس ذلك عمله داعية خارجيا لصالح رئاسة الإفتاء في السعودية، فضلا عن المحاضرات والندوات التي ألقاها في بلدان عديدة على اتساع العالم.

لذلك فإن قراءاته التي قدمها للسيرة النبوية ما كانت إلا محاولة لإسقاطها على ما يعايشه المسلمون في هذا العصر، فضلا عن كتب خصصها لموضوعات يثور حولها الجدل من منظور إسلامي، مثل كتابه "قضايا إسلامية معاصرة" الذي تطرّق فيه لموضوعات مثل: المواطنة والحضارة الغربية والديمقراطية والتعددية السياسية وغيرها، كما ألف كتابا عن "التحالف السياسي في الإسلام"، و"الحركات القومية في ميزان الإسلام".

في الحركة الإسلامية

انتظم منير الغضبان في صفوف جماعة الإخوان المسلمين في سنٍّ مبكرة، بل إنه يرى أنه ابن جماعة الإخوان منذ نعومة أظفاره، إذ يروي أن مصطفى السباعي زار قريته، فخرج مع أطفال القرية لاستقباله، "كنت وقتها في العاشرة. وقفنا صفاً وجاء الأستاذ السباعي وصافح الأطفال.. ثم نظر إليّ وقال لي: ما اسمك؟ قلت: منير الغضبان.. قال لي: من اليوم أنت من جماعتنا. ومنذ هذه اللحظة وأنا بالجماعة!".

وكان له حضور وتأثير في المجتمع الذي يقيم فيه، وهذا ما عرّضه لمضايقات حزب البعث الحاكم في سوريا مما دفعه للهجرة إلى السعودية في بداية سبعينيات القرن الماضي، حيث عمل في مجال التوجيه التربوي في رئاسة تعليم البنات، ثم في مجال الدعوة في رئاسة الإفتاء، قبل أن يعمل باحثا علمياً في جامعة أم القرى، ثم باحثا ثقافيا في الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

بالرغم من لقب "الغضبان" الذي ذيّل اسمه، فإن بشاشة وجه "منير" ودماثة خلقه كانتا تتركان انطباعا راسخا عند من يلقاه، فضلا عما عرف به من همة عالية، وتواضع جمّ، وزهد بالسلطة والمناصب. ولعل من أهم صفاته التي أهّلته للعب أدوار مهمة في مسيرة جماعة الإخوان السوريين أنه كان محل توافق لدى أطرافها، وقبول منهم، لذلك يلاحظ المتتبع لمسيرة الجماعة أن اسم "منير الغضبان" يبرز دائما في مساعي الصلح ورأب الصدوع وعمليات إعادة اللحمة بين أطراف الجماعة المتنازعة.

فبعد الحملة التي شنها حافظ الأسد على الإسلاميين في أواخر سبعينيات القرن الماضي، وما أصاب الحركة الإسلامية من انقسام بين ما عرف بـ: إخوان حلب وإخوان دمشق والطليعة المقاتلة، عام ١٩٨١، كان للغضبان حضور مهم في اتفاق توحيد الجماعة، وهو ما جعله يترك عمله في السعودية وينتقل -في تلك الفترة- إلى الأردن.

كما أن التنظيم العالمي للإخوان المسلمين اختاره عام ١٩٨٦ مراقبا عاماًللإخوان السوريين في محاولة لرأب الصدع الذي أدى إلى انشقاق الجماعة. لكنه بعد عام من محاولات الإصلاح غير الناجحة، آثر الاستقالة.

لقد طبعت هذه السمة سلوكه الحركي كله، وليس ذلك بين أطراف الحركة الإسلامية فحسب، فما تراه إلا ساعيا للتوفيق بين المختلفين ماشيا في الصلح بين الناس متعبا نفسه في تقريب الآراء وإصلاح ذات البين

حتى أنه تحرك في بدايات الثورة السورية عام ٢٠١١ في التوفيق بين بعض أطياف المعارضة -التي تميزت بتفرق كلمتها- والمساهمة في توحيدها ورأب ما بينها من صدوع، بعيدا عن أعين الإعلام.

وبالرغم من زهده في المناصب فإنه كان محلا للثقة، وهذا ما أهله لتولي مسؤوليات عديدة في جماعة الإخوان المسلمين، فكان عضوا في مجلس الشورى عدة دورات، وعضوا في قيادتها، بل على رأسها عندما عين مراقبا عام لها سنة ١٩٨٦.

ومع هذه المناصب التي أسندت إليه إلا أن العاملين معه يرون أنه كان جنديا دائما، مهما اختلف عنوان المنصب الذي يتولاه، لذلك لم يكن مستغربا أن يصف نفسه بعد أن استقال من منصب المراقب العام، أعلى منصب في الجماعة: "عدت إلى الخط الأمثل جنديًا في الدعوة، وهو خير المواقع".

في رثاء الشيخ الكبير الدكتور منير الغضبان.. يرحمه الله

ما لموتٍ، من رُقيةٍ، أو علاجِ أو شفاءٍ.. في ضجّةٍ، أو لَجاج
يُتوفّى، في كلّ يوم، ويَحيا كلّ مَن في الكهوفِ والأبراجِ
بَيدَ أنّ الردى، إذا حَلّ، أعيى الكونَ، عن أن يُعيدَ نُورَ السراج!
حِكمةُ الله، في الورى والبَرايا تَتَمارى، في هيئةِ الأمشاجِ

فإذا حّلتْ المنيّة، ولّتْ كلّ جدوى ، في منطقٍ، أو حِجاجِ

***

قد مضى شيخُنا الجليلُ، مَهيباً لمْ تنلْ منه عاتياتُ الدّياجي
ظلّ، في أمّة الحبيب، منيراً تستقي من سِراجهِ الوهّاجِ
كان حُراً بالفكر، بالودّ بَرّا يَتلقّى انتقادَه، بابتهاجِ
كان حصنَ الألباب، في كلّ نادٍ حَلّ فيه، مِن لوثة واعوجاجِ
يَقرعُ الحُمقَ بالنهى، ويُداوي بشَذا حِلمه، فسادَ المِزاجِ
حبّهُ للنبيّ، في الروح يَسري ليس حبَّ الأوراق في الأدراجِ

***

صارعَ الداء، بالتوكّل، والأحبابُ يَرنون، بين باكٍ وراجِ
صابراً ظلّ، مُعرضاً عن أساه من دَبيب الفناء في الأوداجِ

عاش طوداً.. وظلّ في الموت طوداً في اصطخابِ الأنواء والأمواجِ

غبتَ، يا شيخُ، والدجى مكفهرّ والرزايا تَـموجُ، ملءَ الفِجاجِ
غبت، يا شيخ، والنفوسُ حَيارى لفّها الظلمُ بالعَمى والعَجاجِ
غبت، يا شيخ، ليت مَن غاب وغدٌ سادَ في سيلِ زيفِنا الثجّاجِ
غبت، يا شيخ، تاركاً شامَـكَ الفيحاءَ ثكلى، ترتجّ أيّ ارتجاجِ
وسطَ دوّامة، من القلقِ القتّال، تـُعيي الألغازَ، فيها، الأحاجي

***

يا (منيراً)، جَلا الظلامَ، بنـُور ساطِع، مِن أشعـّة المِنهاجِ
يا أسيرَ العَـناء، في مَحبـس الجسم، تَمتـّعْ بـنِعمة الإفـراج!

في طريقها للسماء... ثلاث أرواح التقت بعد أن ارتقت في ذات اللحظة... عم هدوء أثير بينها..

كانوا طفلة وطفلاً وامرأة

قالت روح الطفلة: ..

"كنت أغني وأساعد أمي بالمطبخ، قسمت أمي تفاحةً نصفين، لكن.. قنصني عمو القناص من شباك المطبخ، قنصني قناص مشفى الأطفال قبل أن أكل نصف التفاحة، كنت وحيدةً لأمي، وأمي جنت، ها هي هناك.. هل ترونها؟؟ إنها تمشي تارة وتركض تارة وهي لا تنفك تناديني وتقبل صورتي".

اهتزت روح المرأة عاطفة وهي تراقب الأم الثكلى.. ثم التفتت إلى جهة أخرى وأشارت نحو بيت يقف ثلاثة أطفال على عتبته، قالت:..

"خرجت في الصباح وتركت ورائي أطفالي في البيت على مائدة الإفطار، لم يكن في البيت كسرة خبز، لم نذق طعم الخبز منذ أسبوعين، سمعت من جارتنا أن هناك من يتبرع بالخبز، خرجت مسرعة، ولكن رصاصة القناص كانت أسرع..!".

إبريق الشاي ملّ الانتظار أيتها الحرة!! وصحن المكدوس اليتيم بات يشكو الوحدة!!

وأطفالك الصغار هناك ما زالوا حائرين... يحلمون برغيف يأتي بين يديك..

سمعت الروح صوت ابنها ينادي: "ماما.. لم نعد نريد خبزاً ..عودي إلينا !!ماما.. أين أنت؟؟".

بقيت روح الطفل صامتةً وهي تراقب المشاهد جميعها..

التفتت إليها روح الطفلة متسائلة: وأنت؟؟ ماذا عنك؟؟

وبهدوء ملائكي قال الطفل: أما أنا.. فسأخبر الله بكل شيء!!

ولدتُ و لم تكنْ أمّي بغيّا كوجهكَ أنتَ يشرقُ سرمديّا
كنجمٍ صار من صلصال روحٍ ويسكنُ _ حينَ يسكنُكَ_ الثّريّا
وما وُلِد الهوى فرداً و لكنْ ولدنا _ حين شئتَ لنا _ سويّا
وأنتَ البيتُ و المنفى و غيمٌ بحجمِ الشّعرِ يمطرنا رويّا
وكنتَ و كان وجهي شطرَ أُخرى بقايا مكّةٍ لبثتْ سِنيّا
وكنتَ دمشقَ تنزفُ ياسميناً لتدفعَ عنكَ سيفاً مزدكيّا

***

تصالحنا على فجرٍ جديدٍ فكان الفجرُ يا أبتي عصيّا
وما زلنا نحاولُهُ ليأتي على أشلائنا صبحاً نديّا
ونفرشُ كلّ راجمةٍ رُكاماً لتلبسَ أنتَ ثوباً عبقريّا
وكنتَ لأنّكَ المحمولُ فينا ونسكنُ فيكَ منفانا الأبيّا
وهمْ قتلوكَ لمّا كنتَ كوْناً ولمّا كانَ وجهُكَ يوسفيّا
وهم ذئبُ القطيعِ و ألفُ جُبٍّ وسبعتُنا العجافُ تُعادُ غيّا
وهمْ مَن قدّ من دُبُرٍ قميصاً ولكنْ كان سِجنُكَ (تدمريّا)
ومذْ أن صارَ حاكمهم إلهاً وصارَ النّفطُ سلطاناً وليّا
خرجتُ على نصوصِ الملكِ بغياً وأحلى الموت حينَ تموتُ بَغيا
وهم بُعثوا و ما بُعثوا كراماً فكانَ البعثُ موتاً أبجديّا
وما صلبوا مسيحاً كلّ يومٍ صليبٌ يقتلُ الشّعبَ النّبيّا
ولا غُلبتْ بأدنى الأرضِ رومٌ كما غُلبوا بأعلاها عُرِيّا

أنا المشنوقُ أعلى كلِّ بيتٍ وأسفلَهُ سيحتضرونَ خِزيا
فإن يكُ دونَ هذا الشعرِ موتٌ فحيّ على جلالِ الشّعرِ حيّا
وكمْ قزمٍ تولّانا صغيراً فصار اليومَ جبّاراً شقيّا
فما رُزقَ الشّجاعةَ في صِباهُ وأوتيَ حُكمَ والدهِ صبيّا
فلمْ أرَ حاكماً حرّاً كريماً ولم أرَ فيهمُ بشراً سويّا
لقد وُلِدوا حراماً من حرامٍ وما ولدوا كريماً أو أبيّا
سألعنُ أمّةً قد بايعتْهم وأمّاً أنجبتْ كلباً بغيّا

***

بلادي يا صلاةَ الماء قومي ومرّي كالدّعاءِ على يديّا
وقومي يا بلادي من عظامي ولحمي و اعبري منّي إليّا
و ضمّيني إلى خدّيكِ نخلاً و نحنُ أنا ليمطرَ أهلَهُ رُطَباً جنيّا
وأنت هما وأنتمْ وهنَّ نموتُ يا بلدي لتحيا
فتحيا أمّةٌ تُدعى عراقاً وتسقطُ أمّةٌ قتلتْ عليّا

نسيبة عبد العزيز مشوح

نحن أيضاً لدينا "مونديال".. في الشام.. في بغداد.. في القاهرة..
مونديال للموت و الشرف و الأمجاد..
مونديال لا يشاهده العالم..
مونديال لساكني المتون وليس لعابري الهوامش الباردة..
ليس المطلوب منك أن تكون جادا دوما..

د. علي العمري

على أبناء المجتمع المسلم اتخاذ موقف مشرف ضد برامج القنوات الهابطة برمضان، ومعلني برامجها؛ فهي لن تتوب إلا بذلك.

Ahmed Saud

بدلا من أن نتلاوم فعل أصحاب الجنّة الذين أعماهم الطمع والحسد، فظلموا أنفسهم، وضلّوا فحُرموها، أو نتلاعن فعل أصحاب النار الذين تبرّأ بعضهم من بعض، حتى تبرأ منهم إبليس نفسه!

لِمَ لا يملك السوريون شجاعة المراجعات والتقويم لأنفسهم ولثورتهم وتطوراتها واتجاهات بوصلتها...؟!

كلّنا يراقب غيره، ويلقي بكرة الملاومات -إن لم يكن رصاصة الملاعنات- في مرمى المحيطين به، وينسى دوره، وسذاجته، واستخدامه، وتحريضه، واندفاعه، وسوء تقديراته، وعدم طواعيته للعمل المؤسساتي الجمعي، وعدم بذله كل ما يمكنه أن يبذله لصالح الثورة، وبما يتكافأ مع تضحيات الرواد من مناضليها!

الكارثة أن يستغل بعض الجبناء شجاعة غيرهم ليجعلوهم مشجبا لكل الأخطاء، وكأن سلبيتهم أو خذلانهم أو تكبّرهم عن المراجعة، وجهلهم بتقويم أنفسهم نقطة قوة لصالحهم!!

إبراهيم العلبي

من علامات عدم الأهلية والكفاءة أو "الرجل المناسب في المكان غير المناسب"
الشعور بالعجز المطلق واليأس من التغيير..
من تصدر للشأن العام فليصبر وليتحمل أو ليتنح وليسمح لآخرين بإكمال مسيرة تستغرق زمنا طويلا وتستلزم جلدا مستمرا..

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:
«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة،
ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»

(رواه مسلم)